قرأت العدد الماضي من الآداب

الأبحاث

بقلم محمد وهبي

دروس من بور سعيد

لرئيف خوري

كتب هذا المقال بمناسبة ذكرى العدوان الثلاثي على مصر في العام الفائت . ولكي يبرز الكاتب اهمية انتصار العرب في معركة بور سعيد ، قام بعرض سريع لوضع العرب في الماضي وللروح القومية التي كانت سائدة فيه بما فيها من عوامل متضاربة متناوبة من التمرد على الاستعمار ، الى ما يشبه اليأس والاستسلام الى التصميم والنضال ، مما كان يخمده الاجنبي المستعمر بجيوشه ومناوراته ، بحيث ان بعث الامة العربية اوشك ان يعتبر امرا محالا . وينتقل الكاتب بعد ذلك الى معركة بورسعيد وما خلفته من اثر في النفوس ، فيجلو بذلك عظم الفرق بين ظلام الماضي ونضارة الحاضر ، ويخلص الى تأكيد حقيقة القومية العربية ، وبطولة ابنائها ، والمفاجأة الكبرى التي صفعت بها كبرياء المستعمرين .

وفي هذا المقام يعمد الكاتب الى استخلاص الدروس والعبر من هذا الحدث التاريخي . والدروس التي يراها دروس حقيقية يمليها منطق الحوادث على كل من المعتدين والعرب والروس انفسهم على السواء . على أن اهم هذه الدروس في اعتقادي ، وأشدها فعالية في النفوس ، هو الدرس الذي تلقاه العرب في هذه المعركة . وهذا الدرس الذي يورده الكاتب بقوله : «واخيرا كان انتصار بور سعيد درسا للامة العربية والقومية العربية نفسها ان المستعمرين تمكن هزيمتهم ، وأن الشعوب المغصوبة حقوقها اذا وقفت صامدة في سبيل هذه الحقوق ، لا تتخاذل ولا تتقاعس عن تضحية ، فانها واجدة اصدقاء يقبلون على نصرتها لانهم يسرون لصداقتها قيمة ومعنى ، وواجدة ايضا اعداء ان لم يتعلموا حبها تعلموا احترامها مكرهين » . هذا الدرس ينصب على ابراز بعض المعاني العامة ، ولكنه يغفل التحديد لبعض الامور التي من شانها تكملته وتوضيحه . والتحديد الذي أرى ضرورته هنا ، يتناول ظاهرة اشتراك الشعب في الحرب الى جانب الجيش ، ومساهمته البطولية في مقارعة جيوش المعتدين في تصميم وعناد من شارع الى شارع ، ومن منزل الى منزل . فهذا اللون من الوان الكفاح الذي خاضه الشعب المصري في بور سعيد ، هو لون جديد على العرب في تاريخهم الحديث ، وقدوة رائعة لا شك أنها اصبحت لهم في بقية اقطارهم مثالا يحتذى وعاملا أساسيا من عوامل تكامل بعثهم المرتقب . ان معركة بور سعيد هي اول تجربة حية خاضها العرب فتفاعلوا بأحداثها ، واستجاب لهذا التفاعل افراد من الشعب منهم الى جانب المسؤولين ، وحال فيها موقفهم الايجابي الشامل دون ظهور المواقف السلبية ، بحيث انهم أمسكوا بزمام الحوادث وقرروا مصيرهم بأنفسهم بعد ان كانت الحوادث هي التي تقرر لهم على الدوام هذا المصير .

وليست اهمية هذه الظاهرة في ايجاد الاصدقاء وكسب احترام الاعداء ، بقدر منحها للشعب العربي روحا جديدة يغسل بها نفسه من ادران السكينة والخمول التي علقت بها في العهود المتأخرة .

ان هذه الظاهرة بشير خير لبعث الامة العربية ، وبرهان ذلك ما كان لها من صدى عميق في سوريا ايام خطر التهديد التركي الاخير . ولهذا فاني اعتقد أنها ، الى جانب تلك الدروس القيمة ، اهم درس تلقاه العرب عن معركة بور سعيد .

على اساس من حديد

لمحمد النقاش

مقال سياسي تحليلي يستعرض الاحداث العربية الاخيرة ويحللها تحليلا لا يخلو من العمق ، كما يتميز من الناحية الوطنية بصراحة جريئة ناصعة ، فلا هو يداري ولا هو يوارب . والنتائج التي ينتهي اليها فيه كاتبه ، مع ما بها من التقاء بوجهة نظر السياسة العربية السائدة ، لا تنتقص من نزاهته او عمقه ، اذ ان الروح التي كتب بها هي ولا شك روح صافية جمعت الى وعيها القومي فكرا مركزا واضحا . والقيمة التحليلية لهذا المقال تتركز في هذا الربط الموفق بين الاحداث السياسية مثل ابراز العلاقة بين الحشد التركي والمفاوضات التي جرت قبل توقيع الاتفاق الاقتصادي بين سوريا والاتحاد السوفياتي ، بمعنى القصد الى احباط هذا الحدث الخطير والاول من نوعه في منطقة الشرق الاوسط .

ولست أود ان يفوتني لفت النظر الى اتجاه نظر الكاتب جديرة بكل تقدير . فهو بعد ان استعرض مجالي الانشاء والنهوض المختلفة في العالم العربي قد اصطفى منها حدثا قد لا يكون بارزا ، لكي يعطيه الاهمية القصوى بالنسبة لبناء المستقبل ، وهو افتتاح اول فرن كهربائي في مصر لصهر الحديد . فهذا الحدث يعد بحق من اهم الدعائم الحقيقية لسياسة التصنيع التي ستكفل لمصر النمو والازدهار ، والتحقيق لنهضتها الكبرى .

التناقض بين المجتمع والتفكير

لعبد الله القصيمي

يشتمل هذا المقال على مجموعة من الاراء المتفرقة يعرضها الكاتب بسبيل ابراز ما سماه بالتناقض بين المجتمع والتفكير . وبين هذه الاراء كثير مما لا ينقصه العمق والاستناد الى علم النفس . ولكن بينها ايضا ما نأت به المبالغة ومحاولة الاتيان بجديد عن التوفيق من هذه الناحية ، فجاء اما مناقضا للواقع ، واما مقررا لبعض البدهيات ، واما محاولا ابتكار حالة من الوفاق او الصراع بين امرين لا سبيل الى التقائهما على صعيد

واحد من المقارنة لاختلاف طبيعة كل منهما عن طبيعة الاخر ، كما تشير الى ذلك الفكرة الرئيسية المتمثلة في العنوان ، فضلا عن ان التفكير بطبيعته حالة فردية تنبثق عن التركيز المرتبط بالعزلة ، وأن المجتمع جسم روحي ينبثق في الاصل عن التفكير في تفاعله مع الحياة وان كان لا يؤاتيه بحكم حاجة التفكير الى الفردية في حالتي التركيز والعزلة . وصفة التفكير هذه هي التي تجعل بعض الاحوال البدائية او الخاصة للمجتمع معاكسة للتفكير ، كما هي الحال مع الجماعة او الجمهور الذي لا يمثل مجتمعا نظاميا متعضيا ، وكما هي الحال ايضا مع المجتمعات المتأخرة او التي تعاني ضغطا خاصا كالضغط السياسي او ضغط التقاليد المحلية ، وليست هذه الا احوالا خاصة لا يجوز التعميم على اساسها . واما احوال المجتمع الثابتة فانها ان بدت معطلة للتفكير ، فقد صدرت عنه في الاساس ، وهو الذي قرر لها صفة الثبات بغية تيسير الحياة ، مثلما قررت الطبيعة للانسان ان يسير على قدميه بصورة تلقائية دون الحاجة الى التفكير كلما اراد نقل قدم وتقديمها على الاخرى .

لذا فان صفة الثبات في ظواهر المجتمع ، وصفة ايمان بعض المجتمعات في التعاليم الموروثة ، وصفة التصديق عند بعض المجتمعات ، كل هذه وغيرها لا تبيح لنا ان نقول مع الكاتب : « وكل مجتمع لا بد ان يخشى التفكير على نحو ما ، لان المجتمع نوع من الاستقرار ينافي التفكير ... » ولا ان نستنتج معه بالقول « اذن لا بد ان يوجد نوع من الصراع القائم على التناقض بين المجتمع والفكر .. » ، ذلك لان الكاتب نفسه يستدرك قائلا « ولكن المجتمع القوي يستطيع ان يتحمل جميع الهزات الفكرية ، لانه قادر على التكيف والهضم والمقاومة » ، مع العلم بأن صفة القوة التي يراها الكاتب في بعض المجتمعات بحيث تمكنها من التكيف والتطور والهضم والمقاومة تدعو الى التساؤل عما هي ؟ وهل هي غير قوة الفكر ؟.. وما الجديد هنا في قولنا ان الفكر تصادم مع الفكر ؟.. غير ان الكاتب يقول « : ان الحضارة كلها محصول تصادم بين وضع وفكر » . وهذا طبيعي وجد بدهي ، لان التفكير ما هو الا نتيجة احتكاك العقل بالاشياء ، ومنها المجتمع الذي هو بدوره ، باعتباره مجموعة مؤسسات روحية ، قائم على الاجتهادات الفكرية التي تمثلها الحضارة ، كما انه يغتذي وينمو بهذه الاجتهادات بدلا من ان يقاومها . ولذا فان هذا القول لا يسيغ لنا ان نعتبر كل ما يحتك او يصطدم به الفكر عامل مقاومة وتعطيل له .

ثم ان الكاتب يقدم « افكارا ضد التفكير » . ولعله يرمي بذلك الى تغليب مفهوم المجتمع كما هو في نظره على مفهوم الفكر ، او الى مجرد التدليل على ان في الحياة متناقضات .

غير ان معظم هذه الاقوال كان مفرقا في المبالغة . خذ قوله مثلا : « العاجزون هم الذين يبحثون عن الفكرة الصائبة خوفا من الوقوع في الخطأ المقدام ! » وقوله « البحث عن الخطأ والصواب هو من عمل الضعفاء والفلاسفة ! » .

الواقع انه بهذه الاقوال يسن تعاميم بالاستناد الى مجرد احوال استثنائية ، وهذه الاحوال الاستثنائية هي احوال « الاقتصار على التفكير دون الانتقال الى العمل » . فباضافة هذا المعنى الى هذه الاقوال ، يتغير معناها وتصبح اقرب الى الواقع ، باستثناء ما يتعلق بالفلاسفة . وفي الحقيقة لقد استدرك الكاتب واقترب من هذا المعنى بما يشبه التصحيح ، بايراده عبارتي « احيانا » و « بعض » في قوله : « العجز يتحول احيانا الى تفكير ، والتفكير في بعض حالاته نوع من الفرار ... »

اما قوله « الحركة القوية » اجدى من الفكرة الصحيحة » ففيه غموض يدعو الى التساؤل عما يقصد بعبارة « اجدى » بالنسبة لمفهومي قوة الحركة وصحة الفكر ، وهل يرى في معنى « الجدوى » مجرد تنفيذ امر ما ولو لم يرتكز الى تفكير صحيح ، أي مجرد تأكيد الذات ؟.. ولعله يود بذلك ان يلتقي بنيتشه في « انسانه الاعلى » .

وخلاصة القول ان القارىء لا يجد في « افكار ضد التفكير » اية فكرة حقيقية ضد التفكير . فالقارىء الذي يقرأ ليفكر ، والذي يعلم ان الكاتب يكتب لانه يفكر ، والذي يؤمن بأن ليس من عمل عظيم لا يصدر عن التفكير ، تستولي عليه الدهشة حين يقرأ قول الكاتب : « تنتقل بصيرة الزعيم العظيم من تفكيره الى عزيمته ! » وقوله : « القائد الموهوب هو الذي يجيد ان يفعل لا الذي يجيد ان يفكر .. لهذا لا يكون القائد المنتصر الا ضيق الافق متعصبه . وهذه ليست رذيلة في القائد بل فضيلة » . والتساؤل هنا على هذه « الاجادة في الفعل » ومن أي نوع هي وفي أي مجال تكون غير مجال التفكير ؟

ويلمس القارىء ان الكاتب يحب من وراء هذا ان يغلب على قيمة الفكر قيمة بعض المفاهيم مثل « الحدس والحافز والتصميم والحركة » ، ولكن هذه المفاهيم لا تستطيع بأية حال ان تقوم مقام الفكر المنظم ، وان كانت تعاونه في البداية والنهاية .. بل انه من غير المعقول ان نجزىء الحياة النفسية ونقيم بين ظواهرها الحواجز والفواصل ، فنعتبر ان هناك تفكيرا دون حدس ، او حركة دون حافز ، او حركة صائبة دون حدس وتفكير . فنفسية الانسان بجميع عناصرها كائن واحد متصل متكامل لا يعرف الانفصام .

وفيما يتعلق بالقادة العظام ، فمن الميسور لنا ان نسمع على لسان بعضهم تفسيرا لعظمتهم ولناخذ منهم « نابليون » . فنابليون يقول : « الذكاء مقدم على القوة ، بل لا قيمة للقوة بغير ذكاء . ففي الازمنة الاولى كان الاقوى يتولى القيادة ، اما في العصور الحديثة فيتولاها الاذكى .» وهو يقول : « على رجل السياسة ان يضع قلبه في رأسه » . وهو يؤكد ضرورة التفكير والوعي والروية بقوله : « في الحرب كما في السياسة لا تستعاد الفرصة التي ضيعتها » وقوله «الرجل العظيم يظل رابط الجاش في جميع المواقف » .

اما الكاتب فلعله يعتقد ان التفكير بالنسبة للاعمال الكبيرة يتلخص في وضع تفاصيل خططها مقدما ، ولذلك فهو يستبعده لبعده عن الصواب ومطابقة الواقع ويقول : « خطط الاعمال الكبيرة لا توضع تفاصيلها مقدما ، ولكن الخطوة الاولى تهيء الخطوة الثانية ... » . ولكن الواقع ان الصواب هو عين ما يقول ، وأن ذلك هو حقيقة التفكير بعينه . فالفكر الحق يقرر ان ليس هناك من خطط يمكن ان تكون جاهزة ، وانما تقوم الخطط على رسم الاحتمالات .

ومن افكار الكاتب قوله : « الجماهير قوة ضاربة لا قوة واعية ! »

واعتقد ان هذه الفكرة هي السبب الاساسي في كل ما قام به من مزج بين المفاهيم ، فجعل المجتمع مناقضا او مقاوما للفكر ، كما جعل الفكر ادنى قيمة من مفاهيم القوة والحركة والحافز ونحوها .

ان قوله هذا هو حقيقة مقررة في علم الاجتماع وفي علم النفس الاجتماعي . ولكن فاته ان يتبين التباسا هاما عنده بين الجمهور وبين المجتمع .. اذ ليس الجمهور هو المجتمع ، ولا يخفى على القارىء ما بين المفهومين من فارق كبير .

اشتراكيان ورجعيان

لسلامه موسى

يقدم الكاتب في هذا المقال مثالا ممتازا من الادب المقارن ، وذلك في سبيل فكرة معينة تنبع من صميم احتياجات حياتنا الاجتماعية والثقافية في العصر الحاضر . ففي غمرة الاحداث الراهنةالمتصلة باتجاهات الكفاح والنهوض والانشاء ، ليس أعز على القارىء من ان يطالع ادبا يشعر ويفكر ويحيا معه في شتى فنونه المتنوعة ، محاولا ان يبتعد جهده عن جمود الابحاث والموضوعات المتحجرة . فمع ان المقال في صيغته يتناول موضوع التاريخ ، الا ان هذا التاريخ موجه توجيها خاصا ، وهو جزء من دعوة يعرف الكاتب بها ، كما انه يمثل طريقة عملية يتخذ الكاتب فيها المقارنة وسيلة للاقناع .

اما الفكرة الاساسية فهي الدعوة الى التجديد ، والى الاشتراكية بنوع خاص . ولكي يتسنى للكاتب ابراز مزايا دعوته هذه ، يقوم بمقارنة سريعة بين اربعة ادباء انكليز عاشوا في النصف الاول من هذا القرن ، اثنان منهم اشتراكيان وهما برنارد شو ووبلز ، والآخران رجعيان وهما جلبرت تشسترتون وبيلوك. وقد جاءت المقارنة موفقة لدرجة ان جعلت الكاتب يكتفي باسلوب التأريخ دون اسلوب المناقشة .

الواقع اننا هنا بازاء ادب ملتزم صميم ، وحريص على اداء رسالته التجديدية . ومع ان الكاتب ختم مقاله بقوله « انه لا يستطيع ان يجد في البلاد العربية في الوقت الحاضر سوىواحد او اثنين من الاشتراكيين الناضجين ازاء كل مليون من الرجعيين » ، فاني لا اريد ان اتهمه بالمبالغة ، وانما احب ان ازيد كلامه ايضاحا فاقول : ان بين الرجعيين الذين يعنيهم كثرة ساحقة من الاشتراكيين ولكن غير الناضجين .

محمد وهبي

القصص

بقلم احمد سويد

لن انتهز هذه الفرصة ، فرصة نقد القصص المنشورة في العدد الماضي من «الاداب» ، لابسط رأيي في القصة والمفاهيم التي تقوم عليها ، ذلك لاني اكره المقدمات اولا ، واكره معها اللهجة التقريرية او التخطيطية التي تصاغ بها عادة ، وريح الاستعلاء التي تهب منها ، وتظهر الناقد بثوب المعلم او الجلاد . ولأني ثانيا اؤثر ان اواجه الاثر بنفسية المتلقي ، وان اسجل الانفعالات تسجيلا امينا ، يساعد القارىء بالتالي على الاسهام معي في عملية تسهيل الرؤية ، والتقييم المباشر الحر .

فعسى الا يشير هذا التسجيل حفيظة كتاب القصة في العدد الماضي، وهم لحسن حظي اثنان فقط .. ولعل هذه هي المرة الاولى ـ على ما احسب ـ التي يشح فيها العطاء القصصي في « الاداب» فيقتصر على قصتين موضوعتين لا غير !

الجبانة

اعترف اني فشلت في العثور على المبرر الذي حمل الاستاذ سرور على اختيار « الجبانة » عنوانا لقصته ، فلقد اراد ، لقصته هذه ، على ما يبدو ، ان تدورحول مشاعر صبي امام الموت .. امام موت اخ صغير له، فاذا بها تدور حول كلشيء .. الا حول هذه المشاعر .

هوذا صابر يقوم من النوم ، فيخالجه احساس مسبق بما حدث .. احساس بشيء « يستطيع ان يعرفه لو اراد ، ولكنه تهرب ولم يشأ ان يعرف. » حتى اذا وقف في باب المنوره وسمع حديث النسوة ، وحتى اذا رأى بوضوح شيئا مغطى بعباءة ابيه السوداء » عرف ذلك الشيءالذي « يستطيع معرفته لو اراد » ، وادرك ان « سيد » الصغير قد مات وانه لن يراه مرة اخرى .

وينتظر القاريء ان تبدأ القصة من هنا ، ان يبدأ الكاتب في الولوج الى حقيقة مشاعر الصبي ، بعد ان فرغ من تصوير الاطار الخارجي .فاذا به يعرض لنا مشاعر مصطنعة لا نبض فيها ولا حرارة :

ـ لقد اكتشف الصبي فجأة انه يحب اخاه الصغير بعد ان كانيمقته ويكرهه وان سيد لم يكن يعرف شيئا عن اقتراب العيد والا « لما سمح لنفسه بأن يموت » وانه هو .. لو رآه يفعل ذلك لمنعه ، ولحدثه عن اللحمة الكثيرة ، والملابس الجديدة ولكن ما حيلته ؟.. فهو لم يستطع « ان يضبط سيد وهو يموت » !

ويرى صابر امه تبكي بطريقة غريبة لم يعهدها من قبل فيود ان يبكي معها ولكنه لا يستطيع ، فيحس بالضيق ويتفلت من فهيمه الدايه ،وهو يخشى « ان يظل الحزن في الدار الى ان يجيء العيد فلا يشتري له ابوه الجلابية الخ ...» ولكنه لا يكاد يرى اباه يبكي حتى ينفجر في بكاء مرير « استطاع الشيخ جاد بعد جهد أن يثنيه عنه .»

عجيب امر هذا الصبي ، يبكي متأثرا بأبيه ولا يبكي متأثرا بأمه ، رغم اننا جميعا نعلم ان الطفل شديد التأثر بأمه ، سريع الانفعال بها ، يراها تبكي لاتفه الاسباب فيشاركها بكاءها ، فكيف وهو يراها تبكي « بطريقة غريبة » حتى « صارت عيناها حمراوين كالدم القاني » ؟

وينتظر القاريء ان يظل صابر في الجو النفسي الذي وضعته فيه اول تجربة له مع الموت ، رغم طرافة مشاعره وسماجتها ، ولكن الكاتب يأبى له ذلك ،فينطلق به خارج البيت ، ليصور بعض نواحي الحياة في القرية « غنم ابو خليفه ، وجاموسة ابو الخير ، والمراة حمالة الحطب ، والشحاذ وجواله المنتفخ ، والطفل العابث الذي يجلب الجوال من كتفه بقوةويرخيه، والطفلة التي تجمع روث البهائم ».. ثم ليعود به بعد هذه الجولة القصيرة الى « المصطبة » فيلهيه بالشيخ جاد ،وعلبة دخانه ، والديك المنقوش عليها الذي طمس الصدأ بعض اجزائه .

ويفهم صابر انهم سيغسلون اخاه ، فيخيل للقاريء ان العقدة قد بلغت القمة ، القمة التي تثير كل احساسه بالالم ، القمة التي يبدأ بعدها الانحدار نحو الخاتمة ، نحو الحل،ولكنه يواجه خيبة الامل عندما ينتزع الكاتب بطله من غمرة هذه اللحظة الغائرة التي تعتبر بلا ريب من اشد مواقف الموت رهبة وتوترا ، ينتزعه ليلقي به خارج هذه اللحظة ، بعيدا عن كل توتر ، وليلهيه من جديد باجترار ما حدث له في جرن الباشا .

ولا يكاد القاريء يحمد ربه لانتهاء قصة جرن الباشا المملة ويهيء نفسه لنبضة جديدة في القصة ، او توتر جديد حتى تأخذ القصة في التقدم ، ولكن بفتور يلاحظ معه ان الكاتب يلجأ بين الخطوة والخطوة الى دس منظر خارجي يطيل به السرد ، ويفصل بين الحوادث المتتابعة .

وهوذا صابر يعود الى البيت بعد ان حمل المشيعون اخاه الصغير الى الجبانة ، ولكنه لا يكاد يقطع نصف الطريق حتى ينكص على عقبيه ، فلقد خطر له فجأة ، وكانه نسي المأساة ، خطر له .. « ان يذهب ليرى القبر من الداخل عساه انيتأكد بنفسه من وجود الملائكة التي تحاسب الميت ».

ويعود الكاتب من جديد الى المناظر الخارجية يستعين بها على تبديد ضجر القاريء فيستعرض كل ما يصادفه وهو في الطريق الى الجبانة ، ويعود الفتى صابر الى الثورة على ابناء البهوات وقصور الباشوات والى

نبش كناستها .

حتى اذا ارتفع صوت الشيخ عطية بالاذان ، اخذ صابر يتوارى عن المسرح رويدا رويدا ، ليتنصب بدير ، في النهاية ، بطلا للقصة ، وليأتي حل العقدة على لسانه عندما يتخطى جبانة الباشا :

ـ عجايب صحيح . جبانتنا يا خويا اتملت ، وجبانتهم لا انفتحت ولا دخلها حد.

وبعد ... فقصة الجبانة قصة فاشلة ، انها ليست من النوع الذي تمسك فيه انفاسك ، ورغم انها من نوع الدرام ، فانها لا تبعث في القاريء اي اسى او حزن، ولا تثير فيه حس المأساة . ولقد افقدها الكاتب كل رشاقة باقحام المناظر الخارجية بشكل يعيق فيها تقدم الحوادث ، وفشل في اثارة حزننا على «الميت المسكين» وتعاطفنا مع الصبي صابر الذي ظل بالنسبة لنا ، مجموعة من الافكار الباردة ، والتطرفات التي لا تخلو من سماجة .

الاصبع العايبة

نحن امام قصاص موهوب رغم ان الفكرة التي اقام عليها بناءه القصصي فكرة مطروقة : فتاة يغرر بها ، فتقع في حبائل الجنس الآخر ، فاذا الشرف مثلوم ،مدنس ، لا يعيد اليه اعتباره في عين المجتمع ، الا غسل هذا العار بالدم .. لذلك لاتنتهي المشكلة دائما الا بقطع « الاصبع العايبة » .

يملك الاستاذ عبد الهادي البكار القدرة على الاثارة ، كما يملك كل المواد الخام التي يحتاجها القاص في عملية الخلق ، كالدقة في الملاحظة ، والتعبير السائغ الحلو،والتشبيه الواقعي الموفق،فالماكينة المعطلة«ممروضة الاحشاء»تحملها الفتاة الى « الطبيب المداوي » حسين ، مصلح الماكينات ، والام « تحفر بطن الكوسابة » والقمر يعبر قضبان النافذة ويدخل كاغصان من الضوء عريانة ... الخ.. ولكن لغة الاستاذ البكار تشكو بعض الركاكة والتصدع في البناء التعبيري ، كما ان تكنيك القصة عنده ، يشكو بعض التزعزع والخلل .

ويلاحظ القاريء هذا الخلل في مواضع متفرقة من القصة ، فالكاتب الذي اختار لنفسه دور الراوية ، الراوية الذي يسرد حادثة معينةوظروفها، هذا الكاتب لا ينفك يتدخل ليستنتج العبر للقاريء ، وليعلق على بعض المواقف بلهجة الحكيم :

«وفكرت : كم من الاشياء الكبيرة تحدث بجانبنا ونكون نحن اقرب الناس اليها ، ولا يفصلنا عن صانعيها سوى جدار رقيق هزيل .. ومع ذلك فان هذه الاشياء تظل مجهولة بالنسبة الينا مدة طويلة. »

« في الدقيقة الواحدة تحدث في العالم اشياء كثيرة متشابهة »

ان مثل هذا التدخل يمكن ان يغتفرحين يلجأ القاص الى اسلوب البوح يصور به تجربة ذاتية كان هو بطلها ، او حين يتقمص صاحب هذه التجربة ، لا عندما يختار لنفسهدور الراوية .

وعندما راح الكاتب يصف كيف غزت «ماكينة الخياطة» القرية الصغيرة تخففت القصة من بعض رشاقتها ، وشعرت انا كقاريء ببرودة الجو التاريخي تلفني ، وتساءلت : اما كان بامكان الكاتب ان يستغني عن كثير من هذه التفاصيل ، او انيكتفي بالايماء اليه ايماء نابضا ، لا يؤثر في انسياب السرد وعفويته ؟

ووقع الكاتب في خطأ تكنيكي آخر عندما لجأ الى اسلوب النقلاتالسريعة اسلوب الومضات التي تتخطى حدود الوحدتين الزمانية والمكانية .. فالام ، ام هدية تشكو الى زوجها :

ـ تكلفنا الماكينة كثيرا من اجور التصليح ..

ويدور بينهما حوار قصير ، ثم اذا بنا فجأة ننتقل الى خارج البيت لنعرف ان الجو كان قائظا ، ونرى الاطفال في الزقاق يركضون وراء « فرخ حنش » ، والماكينة مرمية عند حسين في زاوية رطبة ، و «الراوية » نفسه يحاول عبثا ان يرسملوحةما ، في حين يترشح اليه من خلف الجدار تنهد خافت ، وهمس مبهم .

ثم يعود الاب بغتة الى الكلام :

ـ طولت هدية يا ام هدية ...

وتجيب الام وهي تحفر بطن « كوسايتها » :

ـ راح تجي .

وتنفض ما علق بالحفارة من امعاء الكوسابة ، ويبدأ التنهد فجأة في الدكان ، ويسمع الراوية صوت الباب ينفتح ثم يغلق ...

هذه القفزات الوامضة تذكرني بالتلفزيون الذي ينقل اليك المرئيات وانت في غرفتك ... ترى هل يباح لكاتب القصة ان ينط بمثل هذهالخفة فوق حواجز الزمان وكثافة الجدران ليلتقط صوره من هنا وهناك ؟

.. وكلمة اخيرة .. ان «الاصبع العايبة» لا تحمل موقفا معينا من مأساة اجتماعية معتقة ، الا اذا اعتبرنا مجازفة « الراوية » بتحميل نفسه مسؤولية ما حدث ، موقفا ،لانه ـ اي الراوية ـ كان بامكانه ـ كما يقول ـ « ان يمنع حدوث المأساة لو انهى شعوره بالكره لذلك الكلب الانساني الشبق حسين »

ان مثل هذا الحل الفردي يفرغ القصة من مضمونها الاجتماعي ، وكنت احب الا يقع الكاتب في هذا الخطأ ، والا يتخذ موقفا ، لكي ينقذ ، على الاقل ، السلبية في قصته ، فالسلبية في بعض الاحيان لا تخلو من مضمون اجتماعي ، حين تصور بشاعةالمأساة ، وهولها ، وقبح القطاع الحياتي او جماليته ، وتثير النشاط الفكري عند القاريء فينهد هو بنفسه الى التماس الحل .

احمد سويد

دار الآداب
تقدم تباعا
الشاعر الكبير نزار قباني
في دواوينه الثلاثة النافدة
أنت لي
سامبا
طفولة نهد
في طباعة انيقة مترفة ستكون زينة لكل مكتبة